2753 1216

الحلقة ٢٧

هل يمكن العثورعلى سياسي أردني واحد لديه الجرأة أو المزاج أو قدرة التحكّم بلسانه بحيث يكتفي بالحديث «بعيداً عن السياسة»،وفي هذا الوقت بالذات؟ نقصد في فصل «الربيع العربي» الذي أصبح فيه كل شيء سياسة، وسياسة تعوم في فائض الشك ونكهات الريبة ومحفزات رفع الصوت.

في السنوات الماضية وحتى فترة غير بعيدة ،كان الحديث «بعيداً عن السياسة «مغرياً وممتعاً للسياسيين المحترفين. فما يعرفونه ويجهله الشارع، هو أكثر بكثير مما يودّون الخوض فيه. الآن تغير الوضع واختلطت بعض الاشارات الحمراء بالصفراء بالخضراء..

حديث السياسي «بعيداً فعلاً عن السياسة» بات وكأنه تهمة بالغياب عن الصورة أو انعدام الموقف أو شبهة بجفاف الذاكرة .

ذوات سبق وتحدثوا «بعيداً عن السياسة » وكانوا ممتعين في سردهم الهادئ، اختلفت نبرة الكثيرين منهم هذه المرّة. حديثهم أضحى أكثر إثارة بالمواقف وأثرى بالتفاصيل التي وإن كان عمرها أكثر من خمسين سنة إلا أنها تأتي موصولة بالذي نراه الآن ويفاجئنا .

الحكي «هذه المرة » له ميزة أخرى. فهو يكشف أن العديد من رجالات الدولة الذين لم نكن نرى منهم سوى صفحة التجهم واليباس، هم بعد التقاعد أصحاب بديهة رائقة وتسعفهم النكتة عندما تحرجهم الأسئلة.

ملك التل

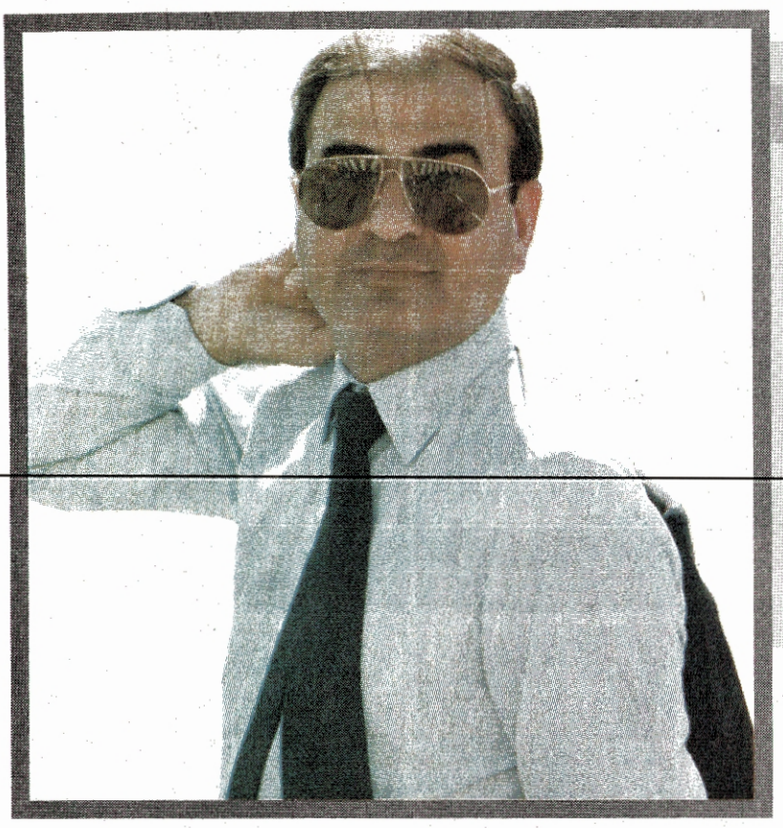

طاهر المصري ضمير السياسة الأردنية.. الرجل الذي لا يضيع بوصلته (٩-١٢)

الذين حاولوا توصيف الحياة السياسية الأردنية، تفاوتت تقديراتهم بشدة على أمور كثيرة، لكنها اتفقت على نقطتين: الأولى أن هذه الحياة السياسة محرقة لرجالاتها، وبالذات في السنوات العشرين الماضية. فلم يغادر رئيس وزراء إلا وكان التصوّر أنه لن يعود بعدها لكثرة ما كانت تلحقه في أيامه الأخيرة من حملات تغيير. والصفة الثانية للحياة السياسية الأردنية أنها بدون ذاكرة مدوّنة!. لا تفسير واضحاً لهذه الظاهرة سوى احتمال أن يكون رؤساء الحكومات السابقون لا يريدون تدوين مذكراتهم لكثرة ما التبس فيها من أمور يصعب تدوينها بموضوعية.

طاهر المصري، رئيس مجلس الأعيان والرئيس الأسبق للوزراء، لا نريد أن نقول أنه الوحيد الذي « نجا » من هاتين الصفتين. فالرجل لشدة تواضعه وعزوفه الفطري الصادق عن سماع التقريظ الفاقع، لن يرضيه أن يقال عنه أنه من رجال الدولة ذوي السوّية الفريدة الذين لم تحرقهم السلطة ولم يندرجوا في الاصطفافات الخلافية ولم تتلوث أيديهم بالموبقات السياسية أو المالية. ولأنه كذلك فان التحرش بذاكرته السياسية للسنوات العشرين الماضية مسألة صحفية ممتعة.

في المملكة المغربية يطلقون على رجالات الدولة المرصودين للمهمات الكبيرة، تعبير رجال «الخزان»، باعتبارهم يُفترضُ أن يكونوا ثقاةً عدولاً أقوياء وذوي أفق مبدع لتولي القضايا المفصلية أو الصعبة. أبو نشأت (ونشأت أيضاً اسم والده) له في «الخزان الأردني الهاشمي» موروثٌ عائلي سابقٌ لوحدة الضفتين عام ١٩٥١. وقد عزّزه الرجل بالممارسة الشخصية الشاقّة. في عام ١٩٩١ آثر أن تستقيل حكومته على أن يُحلّ مجلس النواب، فسُجلت له ضمن سفر الحياة الديمقراطية.

كان له حضُوره في لجنة الميثاق الوطني، ومن فوقها بنى جهوداً أثيرة في رئاسة اللجنة الوطنية الأخيرة للحوار السياسي. وحين يُسال الرجل عن تجربته مع الإخوان المسلمين في حكومة الـ ٩١ وفي لجنة الحوار فانه يستذكر تفاصيل تستحق التسجيل في قاموس الحياة المدنية والحراك الديمقراطي، حيث الاختلاف السياسي لا يؤثر على الإحترام الشخصي المتبادل.

حتى لا نثقل على تواضع الرجل بأوصاف وألقاب إيجابية يعرفها الجميع، فإننا نقتطف بعضاً مما أوردته موسوعة ويكيبيديا عن الرجل. فهي تنقل كلمة المغفور له بإذن الله الملك الحسين عندما قال له: «ما تعاملتُ مع إنسان أشرف منك يا طاهر». وفي سياق آخر يوصف أبو نشأت بأنه «ضمير الحياة السياسية الأردنية» كونه يؤمن بمدنية الدولة إيماناً أهلّه لأن يتولى على المستوى القومي مسؤولية قطاع المجتمع المدني في الجامعة العربية أيام تعاظم الإحساس بضرورة الإسراع في الإصلاح. فقد نشأ الرجل على الإيمان القومي حد التصوف. وهو يعتبر وحدة الضفتين تحدياً قومياً وطنياً لاتفاقية سايكس بيكو. وفي تجسيده لمفهوم وسلوكيات الوحدة الوطنية كان الأبعد عن جدل المحاصصة والحقوق المنقوصة. وحين يتحدث في هذه الحلقات عن قرار فك الإرتباط فان لديه ما يقوله من تفاصيل قد لا يعرفها الكثيرون.

أبو نشأت الذي أنهى دراسته في جامعة تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية، بدأ حياته الوظيفية في البنك المركزي أيام تأسيسه (براتب ٤٥ ديناراً شهرياً). مروحة المهمات التي تولاها بعد ذلك توسعت ،من النيابة إلى الوزارة إلى رئاسة الحكومة إلى رئاسة مجلس النواب ورئاسة مجلس الأعيان. هذا عدا التمثيل الدبلوماسي للاردن والمهمات القومية المدنية. وفيها كلها ظل متمسكاً بمنظومة المبادئ الشخصية التي يقول في مدونته الشخصية على الانترنت أنها ألقت بظلالها على مسيرته السياسية والاجتماعية. ولعلها هي ذاتها الانطباع الشائع عنه بأنه «رجل لا يضيع بوصلته».

هذه قصة فك الارتباط الذي اعتبرته في حينه نقطة سوداء

مع «حماته» وزوجته في لبنان عام ١٩٦٦

لقاء مع مجموعة من الشباب

الليلة الأخيرة قبل استشهاده على مدخل الأقصى الشريف، أمضاها المغفور له باذن الله الملك المؤسس عبدالله الأول- كعادته كلما كان بالضفة - في مضافة الحاج معزوز المصري . ورغم ان طاهر المصري كان في حينه صبيا بعمر ٨ سنوات إلا انه يستحضر اليوم تلك التفاصيل بتفاصيلها الحية المؤلمة، كيف ان الحاج معزوز ومعه حكمت ونشأت المصري ألحوا على الملك عبدالله ان يصلي الجمعة في نابلس لكنه اصر على الأقصى . وبنفس الذاكرة المتوقدة يستحضر الرئيس المصري تفاصيل غير شائعة عن ظروف وحيثيات قرار فك الارتباط الذي كان أبونشأت - كوحدوي عروبي قومي - وصفه في حينه بأنه نقطة سوداء في سجل الدولة الاردنية استدعته ان يستقيل طوعاً كوزير خارجية في حكومة زيد الرفاعي . أما الآن وقد تغيرت الظروف فان المصري يرى ان فك الارتباط كان صائبا وان الأردن هو الأردن و فلسطين هي فلسطين .

■ وزيراً في حكومة عبيدات:

في نهايات عام ١٩٨٣ كانت الشواغر تزايدت كثيراً في مجلس النواب. أيامها قرر جلالة الملك إعادة المجلس إلى نشاطه بعد أن تعطل ١٠ سنوات، وللتناقص في عدد النواب بسبب العمر والزمن والوفاة. كان لا بد من دعوة المجلس للانعقاد. وباعتباري نائباً في ذلك البرلمان المجمد، غادرت لندن مؤقتاً لحضورالاجتماع وقررت الاستقالة من النيابة لأعود كسفير. كان رئيس الحكومة مضر بدران قد استقال وتم تكليف أحمد عبيدات الذي كان وزيراً للداخلية في حكومة بدران. عرض عليّ الرئيس عبيدات حقيبة وزارة الخارجية، أخبرته رغبتي بالعودة سفيراً، لكن تمت في النهاية ترتيبات حملت فيها حقيبة الخارجية في تشكيلة ١٩٨٤/١/١٠

■ مسؤولية في مرحلة صعبة؟

المرحلة لم تكن صعبة عليّ، لكنني أصبحت في موقع مسؤول، كوزير خارجية للمملكة الأردنية الهاشمية. جاء ذلك في وقت كان يزخر بالصراعات في المنطقة منها موضوع منظمة التحرير ومن يمثل الفلسطينيين، وموضوع خروج الفلسطينيين من بيروت وذهابهم إلى تونس. منظمة التحرير كانت تذوب شيئا فشيئا ولم يسأل أحد بأبي عمار بعد خروجه من بيروت باستثناء الملك الحسين. المجلس الوطني الفلسطيني السابع عشر انعقد في عمان ١٩٨٤، وبعده كان جلالة الملك يدعو إلى المؤتمر الدولي ويتواصل مع الأوروبيين والأميركان والاتحاد السوفيتي. كان هناك نشاط دبلوماسي هائل لكنه مريح. وكوزير للخارجية كنت مسؤولاً عن كثير من هذه النشاطات والسياسات، إلا ان أخطر ما واجهناه كان الحرب العراقية الإيرانية التي انتهت عام ١٩٨٨. كان لنشاطنا الأردني معان كثيرة. الأردن كان مؤيداً داعماً للعراق ويساهم معه في تحقيق أهدافه وتقويته عسكرياً وبالتسليح ..الخ، كنت كوزير خارجية في خضم هذه النشاطات. العلاقات العربية والدولية كانت جيدة جداً ومعروفة بسبب هذا التنوع في النشاط الدبلوماسي .. كانت مريحة حيث لم تكن هناك صراعات مع الأردن إلا في حالات معينة كالاتفاق الأردني الفلسطيني الذي بدأ بنوع من النزاعات والخلافات

■ في حكومة زيد الرفاعي استقلت أم أُقلت؟

بعد خمس سنوات إلا ١٩ يوماً من عمر حكومة ١٩٨٤ قدمت استقالتي لخلاف مع الرئيس لمواقف سياسية كنت أرى فيها اختلالات في السياسات الأردنية عندما كنا نناقشها في مجلس الوزراء. ممارسات كثيرة وامور داخلية متعددة لم تكن تسير في مسارها الصحيح، اضافة انني كنت ضد مفهوم قرار فك الارتباط الذي تم، فتركت برضاي وباتفاق مع الرئيس زيد الرفاعي.

■ تردد في الأوساط السياسية ان الرفاعي طلب منك تقديم استقالتك؟

هذا ليس صحيحاً وموقفي كان واضحاً ومعروفاً لدى العديد من الناس. استقالتي كانت معروضة على الرئيس الرفاعي قبل قرار فك الارتباط وتم الضغط عليّ بشدة من كافة الجهات للعدول عن تقديمها يوم فك الارتباط حيث كنت عائداً من بغداد على اعتبار أن القرار أمر قد حصل وبناء على ذلك قررت عدم مزاولة عملي. وبضغط هائل اضطررت للبقاء في الوزارة حتى لا تشكل استقالتي ارباكات للحكومة ولعملية فك الارتباط، واعترف أنني لم أمارس عملي كوزير للخارجية بالطريقة التي كنت أمارسها حيث لم أعتبر نفسي وزيراً لتلك الحكومة وخلافي كان شديداً جداً معها.

■ تفاصيل قرار فك الارتباط:

قبل بداية الانتفاضة التي أخذت دوراً كبيراً على كل الأصعدة انعقدت القمة العربية في عمان في نوفمبر ١٩٨٧برئاسة الملك الحسين، وكانت قمة ناجحة سميت «بالوفاق والاتفاق». وكما سبق وذكرت كان الأردن على علاقة حسنة مع كل الدول العربية، وكانت الحرب العراقية الإيرانية في أوجها. بدأت أحداث غزة كبداية للانتفاضة واستمرت واشتعلت في الضفة الغربية. في شهر حزيران عام ١٩٨٨ جاء أحمد الطالب الإبراهيمي وزير خارجية الجزائر إلى الأردن في زيارة لمقابلة الملك الحسين وكانت المفاجأة للجميع باعلانه أن الجزائر سوف تطلب عقد قمة في الجزائر بعد أيام قليلة لدراسة الوضع في فلسطين. غضب الملك الحسين غضباً شديداً لأنه اعتبر ذلك سرقة لرئاسة القمة منه بعد ٥-٦ أشهر بدون مبرر، وان جلالته هو المقصود. انعقدت قمة الجزائر وتمادت منظمة التحرير في الهجوم على الأردن مطالبة القمة العربية بسحب كل صلاحيات التعامل مع الضفة الغربية من الأردن وإعطائها لمنظمة التحرير، فكانت الأجواء غاضبة في الأردن.. في ظل هذه الظروف عاد الملك الحسين وبدأ يخطر بذهنه فكرة فك الارتباط، لكنني لا أزعم بأن الفكرة بدأت من ذلك المؤتمر.

من حيث المبدأ، أنا وحدوي، أؤمن بوحدة الضفتين، واعتبر أنه ارتُكبت أخطاء كثيرة من قمة الرباط إلى ذلك الوقت، فأبديت رغبتي بالاستقالة، لأنني لا أستطيع أن أدافع عن قرار فك الارتباط كوزير للخارجية، وحصل اتفاق أن أخرج من الحكومة باتفاق بيني وبين رئيس الحكومة. في نيسان ١٩٨٩ وبعد أربعة أشهر حصلت أحداث الجنوب واستقالت حكومة زيد الرفاعي.

■ قبل الخوض في أحداث الجنوب هل كان مقصوداً ان يتم قرار فك الارتباط من جانب أردني من أصل فلسطيني؟

شخصياً لم أكن على علم بقرار فك الارتباط إلا من الراديو مثلي مثل بقية الناس، وليلتها كنت مدعواً عند الأمير الحسن على عشاء، وأخبرت سموه وأنا غاضب بأن فك الارتباط يسجل نقطة سوداء في سجل الدولة الأردنية. بالنسبة لي موقفي معروف وكنت ضد القرار ...قاومت واستقلت على هذا الأساس.

■ هل وجدت بعد كل السنوات أن قرار فك الارتباط هو الأسلم؟

الآن قرار فك الارتباط حصل، وهو حقيقة، ولأن الظروف تغيرت أعتقد أنه ربما كان له ضرورة لإعطاء الضفة الغربية تلك الصفة حيث أبرز الهوية الفلسطينية مقابل الطمع والمخطط الإسرائيلي.. نعم أظهر أن له ضرورة، والآن أقول بأن فلسطين هي فلسطين والأردن هي الأردن، ولا أريد أن أتحدث عن علاقة وحدوية الآن وانما أسعى وأقول إلى ضرورة إنشاء الدولة الفلسطينية المستقلة أولاً، وتمكين وتجذير الهوية الفلسطينية في مواجهة الأطماع الصهيونية.

استراحة

■ انطلق الملك المؤسس من منزل جدك في مدينة نابلس إلى القدس قبل استشهاده بساعات، كان آل المصري أخر معاقل الذاكرة الهاشمية للملك المؤسس قبل استشهاده. ماذا تختزن الذاكرة من هذا المشهد؟

كان الملك عبدالله المؤسس طيب الله ثراه دائم الزيارة لمدن الضفة الغربية يتفقد الرعية. نابلس كانت تحظى بوجوده لعلاقة الحميمة مع عمنا الحاج معزوز المصري. كان يتردد على بيته وينام عنده، وكلما كان يأتي جلالته يأتي معه حاشية وضيوف، بعضهم من بلدان عربية. من المتعارف عليه عندنا انه من العيب أن ينام الضيف في فندق، فينامون في بيت أهل البلد. أتذكر المشهد تماماً وكأن الحالة حصلت أمس. بعض أمراء اليمن كانوا يأتون مع الملك عبدالله وينامون عندنا في البيت.. جلالته طيب الله ثراه كان يأتي مراراً لبيت الحاج معزوز المصري، لكنه لم يصلي ولا مرة صلاة الجمعة في نابلس، إلا في الأقصى. كان يمضي ليلته في بيت العم معزوز نجلس حوله.. كنت في الثامنة من عمري واذكر في إحدى المرات أنه أعطاني خمسة دنانير. أبناء العائلة المقربون كانوا يتواجدون في البيت، فأصبحت هناك علاقة بيننا. يوم استشهاده نزل من الدرج ومعه الحاج معزوز وعمي حكمت ووالدي نشأت. الحاج معزوز كان يترجاه أن يصلي تلك الجمعة في نابلس، لكن جلالته أصر إلا في الأقصى .غادر بسيارة «كاديلاك» وكانت عادة أهل البلد ان يودعوا الملك على حدود المتصرفية، حتى قرية اللبن. كان لوالدي سيارة كبيرة أميركية، فأخذني واثنين من إخواني ولحقنا بالملك وودعناه وذهب إلى القدس ونحن غادرنا إلى رام الله لتناول وجبة الغداء في مطعم اوتيل حرب.. في الأثناء كنا نستمع لإذاعة القدس بنقل صلاة الظهر من المسجد الأقصى وإذ باطلاق نار وأغلقت الإذاعة، والدي قال: «راح الملك».. وعدنا إلى نابلس خوفاً من أن تغلق الطرق، وفي نابلس سمعنا خبر اغتياله يرحمه الله. كان يوماً لا ينسى وحادثة عشتها وما زلت كلما أذكرها أتألم لما عرفناه عن جلالته من حميمية وتواضع وشجاعة.

■ في الحلقة القادمة: طاهر المصري «المديونية الخارجية والداخلية سبب انهيار الدينار الأردني».

كوزير للخارجية في حكومة عبيدات١٩٨٤ عايشنا فترة مرتاحة لكنها زاخرة اقليمياً وبالذات في موقف الأردن الداعم للعراق في حربه مع ايران

أمضى الملك المؤسس ..الليلة التي سبقت اغتياله في بيت الحاج معزوز المصري ورجاه ان يصلي الجمعة في نابلس لكنه أصر على الأقصى وغادر بسيارته الكاديلاك وكان دائم المبيت لدينا وذات مرة أعطاني خمسة دنانير